الفصل الأول : مفهوم البحث العلمي و أنواعه :

يتداخل مفهوم البحث العلمي مع العديد من المفاهيم، و لهذا فمن الأهمية بمكان ضبط المفاهيم، حتى يسهل فيما بعد تصنيف البحوث العلمية و التفرقة بين مختلف أنواعها، و ذلك من خلال المبحثين الآتيين.

المبحث الأول : مفهوم البحث العلمي :

يتضمن هذا المفهوم مسألتين لابد من الوقوف عليهما، فأما الجزئية الأولى فتتعلق بالبحث العلمي، و أما الثانية فتتحدث عن أهداف البحث العلمي و ذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول : المقصود بالبحث العلمي :

لا يمكن تحديد المقصود بالبحث العلمي إلا بعد الحديث عن المعرفة و أنواعها، لأن البحث العلمي لا تشكل مراحل تطوره المعرفة العلمية فقط، بل سبق للإنسان الاهتداء بأنواع أخرى من المعرفة، بدأت بالحسية، و التي لا يحتكرها الإنسان وحده بل تشاركه فيها حتى الكائنات الأخرى بصفة فطرية، ثم بدأت تشيع المعرفة التأملية التي يعتمد فيها الشخص على بناء بعض التصورات العقلية إلا أنها غير مرتبطة بالتجربة، و هذا ما جعلها معرفة عقيمة بعض الشيء لأنها تخلو من النتائج الدقيقة ، لتبلغ بعد ذلك ما يسمى بالمعرفة العلمية التي لا يمكن بلوغها إلا بالبحث العلمي.

الفرع الأول : تعريف العلم :

فالعلم هو المعرفة الهادفة أو المنظمة، أو المعرفة الممنهجة، و هذا يعني أن العلم معرفة، و لكن ليس كل معرفة علم، و حتى تكون المعرفة علما يجب أن تتوسم طرق البحث العلمي في اكتساب حقائقها، و أن تأخذ بالمنهج العلمي القائم على الملاحظة و التجربة و المقارنة و الاستقراء.

لقد أعطيت عدة تعريفات للعلم، فقد عرف قاموس ويبستر الجديد webster العلم بأنه : المعرفة المنسقة التي تنشأ عن الملاحظة و الدراسة و التجريب، و التي تتم بغرض تحديد طبيعة و أسس و أصول ما تم دراسته، أما قاموس أكسفورد المختصر oxford فعرف العلم بأنه : ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بجسد مترابط من الحقائق الثابتة المصنفة، و التي تحكمها قوانين عامة و تحتوي على طرق و مناهج موثوق بها لاكتشاف الحقائق الجديدة في نطاق هذه الدراسة،و في المعجم الوسيط باللغة العربية : هو إدراك الشيء بحقيقته.[1]

[1] إبراهيم خليل أبراش : المنهج العلمي و تطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق، عمان، 2008، ص 31.

يعرف العلم أيضا على أنه : ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بجسد مترابط من الحقائق الثابتة المصنفة، و التي تحكمها قوانين عامة و تحتوي على طرق و مناهج موثوق بها لاكتشاف الحقائق الجديدة في نطاق هذه الدراسة[1].

و عليه فإن مفهوم المعرفة ليس مرادفا لمفهوم العلم، فالمعرفة ذات مدلول أوسع و أشمل تتضمن كل ما يتعرف عليه الإنسان، سواء أكان بصورة عامة أم فلسفية أم عشوائية أم مستمدة إلى أسس منهجية منظمة، أما العلم فإنه يستند على المعرفة من خلال الأسس المنهجية المنظمة باعتبارها معرفة مؤكدة و يقينية، و هناك أيضا من يميز بين المعرفة العلمية التي تتحدد باكتشاف القواعد و الأسس و القوانين النظرية و تقف عندها، و بين المعرفة التطبيقية العملية التي تستخدم هذه الاكتشافات و القواعد و ما إلى ذلك بمجالها التطبيقي، و وضع المعارف النظرية في سياقاتها التطبيقية للإفادة منها.

إن عملية البحث عن المعرفة تختلف في طرقها و أساليبها و أدواتها بحسب أصنافها، و لكل منها طرقه و أدواته الخاصة به، على الباحث الإلمام بها لأجل استخدامها في موضوعاته بشكل سليم[2].

الفرع الثاني : أهداف العلم :

إن أهداف العلم تتمثل في الفهم و التنبؤ و الضبط، فالفهم هو الغرض الأساسي للعلم، و العلم كنشاط إنساني يهدف إلى فهم الظواهر المختلفة و تفسيرها، فالفهم هو التعرف على علاقة الظاهرة بالظواهر الأخرى التي أدت إلى وقوعها، و فهم الظواهر الأخرى التي ستنتج عنها، أما التنبؤ فهو قدرة الباحث على أن يستنتج من فهمه للظاهرة و قوانينها نتائج أخرى مرتبطة بهذا الفهم، ... فالتنبؤ هو عملية الاستنتاج التي يقوم بها الباحث بناء على معرفته السابقة بظاهرة معينة، و هذا الاستنتاج لا يعد صحيحا إلا إذا استطاع إثبات صحته تجريبيا

أما الضبط و التحكم، فيهدف العلم لتحقيقهما حتى يتحكم في الظواهر المختلفة و يسيطر عليها بحيث يتدخل لإنتاج ظواهر مرغوب بها، فالعالم حين يفهم فإنه يفهم العوامل التي تؤثر فيها و تنتجها، و بذا يكون قادرا على السيطرة على هذه العوامل، أو تقليل أثرها أو زيادته حسبما يريد[3].

---

[1] إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلج : مناهج و طرق البحث العلمي، ط2، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، 2014، ص 12.

[2] علي معمر عبد المؤمن : البحث في العلوم الاجتماعية، ط1، المجموعة العربية للتدريب و النشر، القاهرة، 2008، ص39.

[3] ذوقان عبيدات، كايد عبد الحق، عبد الرحمن عدس : البحث العلمي، مفهومه و أدواته و أساليبه، ط10، دار الفكر، عمان، 2007، ص 20، ص 21.

الفرع الثالث : البحث :

البحث هو الفحص و التقصي المنظم لمادة أو موضوع من أجل إضافة المعلومات الناتجة إلى المعرفة الإنسانية أو المعرفة الشخصية، أو أنه محاولة لاكتشاف المعرفة و التنقيب عنها و تنميتها و فحصها و تحقيقها بتقص دقيق، ثم عرضها عرضا كاملا مكتملا بذكاء و إدراك، لكي تسير في ركب الحضارة العالمية، و تساهم مساهمة إنسانية حية شاملة[1].

فكلمة البحث فالمقصود منها مجموعة من القواعد العامة المستخدمة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم، أو بمعنى أوضح الطريق المؤدية إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل، و تحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة.

و هناك تعاريف أخرى لمصطلح البحث تختلف عن التعريف السابق أحيانا، و تتشابه معه في أحيان أخرى، و من أهم هذه التعريفات ما يأتي :

ـ البحث هو محاولة لاكتشاف المعرفة و التنقيب عنها و فحصها و تحقيقها بتقص دقيق و بنقد عميق، ثم عرضها بشكل مكتمل و بذكاء و إدراك لتسير في ركب الحضارة الإنسانية و تسهم فيه إسهاما إنسانيا حيا و شاملا.

ـ البحث هو دراسة دقيقة مضبوطة تستهدف توضيح مشكلة و حلها و تختلف طرقها و أصولها باختلاف طبيعة المشكلة و ظروفها.

أما التعريف الأخير للبحث فهو واقع و دال و شامل حيث يقول فيه الدكتور علي جواد الطاهر بأن البحث هو طلب الحقيقة و تقصيها و إذاعتها في الناس، و يدخل في هذا المعنى الشمولي في القصد أن يرى باحث بارع عناصر الإنسانية بمعناها الواسع خلال موضوع محلي يبدو ضيقا جدا.

التعريف الأخير هو أكثر التعاريف تصورا لمعنى كلمة البحث و عملية البحث، حيث تقول فيه الكاتبة ثريا عبد الفتاح ملحس : إن البحث هو محاولة لاكتشاف المعرفة و التنقيب عنها و تطويرها و فحصها ثم تحقيقها بتقص دقيق و نقد عميق ثم عرضها بشكل مكتمل و بإدراك حتى نسير في ركب الحضارة العالمية و نسهم فيه إسهاما حيا شاملا[2].

و عليه لا يمكن الحديث عن البحث العلمي إلا بصدد مشكلة بحثية استعصى فهمها، و المشكلة هي حاجة لم تشبع أو هي عبارة عن موضوع يحيط به الغموض، و أنها ظاهرة تحتاج إلى تفسير فهي موضع خلاف،

---

[1] ثريا عبد الفتاح ملحس : منهج البحوث العلمية، ط4، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1989، ص 34.

[2] عبد الرحمن حسين العزاوي : أصول البحث العلمي، ط1، دار الخليج للنشر و التوزيع، عمان، 2015.ص 16.

و هي موضوع يتحدى تفكير الباحث و يتطلب إزالة الغموض و إبراز الحقائق، و منذ أن يقع اختيار الباحث على موضوع دراسته فإن هذا الموضوع يصبح بمثابة مشكلة له لا ينتهي من التفكير فيها إلا بإنهائها و إعدادها[1].

إن البحث العلمي هو أحد الأدوات الفعالة في المساعدة على معالجة قضايا المجتمع بالطريقة المناسبة[2]، و هذا التعريف السابق و التعريفات الأخرى تؤكد على أن البحث العلمي هو طريقة منظمة، و بالتالي تستبعد المحاولات العشوائية أو غير المنضبطة بالمعايير العلمية في كتابة البحوث و الرسائل العلمية[3].

المطلب الثاني : أهداف البحث العلمي و العراقيل التي تواجهه :

الفرع الأول : أهداف البحث العلمي :

يقول اتجاه من الفقه أنه على الرغم من وجود أهداف محددة لكل بحث علمي خاصة به، إلا أن البحوث العلمية على اختلاف أنواعها و تخصصاتها لها أهداف مشتركة منها :

أ ـ وصف الظاهرة : و ذلك من خلال جمع البيانات المتعلقة بالظاهرة و تصنيفها و ترتيبها، و يعتبر الوصف الخطوة الأولى التي تمهد الطريق لتحقيق الأهداف الأخرى في البحث العلمي.

ب ـ تفسير الظاهرة : يتضمن اكتشاف الأسباب التي أدت إلى حدوث الظاهرة محل البحث مثل انتشار ظاهرة الإرهاب، أو تزايد إدمان الشباب للمخدرات، و ما هي العوامل التي تؤدي إلى ارتفاع معدلات الجريمة في المجتمع.

ج ـ التنبؤ بالظواهر : و هي محاولة التنبؤ بما ستكون عليه الظواهر في المستقبل على ضوء التفسيرات و التعميمات التي تم التوصل إليها.

د ـ الضبط و التحكم : و هي التحكم في العوامل التي تحكم الظواهر و تؤدي إلى وقوعها، أو تمنعها من الوقوع أو الانتشار مستقبلا[4].

الفرع الثاني : العراقيل التي تواجه عملية البحث :

فالبحث العلمي القانوني بصفة خاصة و في العلوم الاجتماعية بشكل عام تواجهه بعض العقبات تجعل فكرة الوصول إلى حقائق مطلقة و ثابتة نوع من الخيال و العبث، فليس من السهل مثلا إخضاع الظاهرة القانونية لتجربة مخبرية على غرار ما يحدث في العلوم التجريبية.

---

[1] محي محمد مسعد : كيفية كتابة الأبحاث و الإعداد للمحاضرات، ط2، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، 2000، ص 24.

[2] عمار بوحوش، محمد محمود الذنيبات : مناهج البحث العلمي و طرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص 11.

[3] عامر مصباح : منهجية إعداد البحوث العلمية، موفم للنشر، الجزائر، 2006، ص 19.

[4] فوزي غرايبة : أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية و الإنسانية، دار وائل للنشر و التوزيع، عمان، 2002، ص 15.

ثم إن تخلي الباحث القانوني عن ميوله و رغباته الذاتية هو أمر صعب التحقق بشكل مطلق، لأن العلوم الإنسانية بشكل عام و العلوم القانونية بشكل خاص هي من المجالات التي تقوم على المعيارية، و هذا الأمر يقود إلى العاطفة أحيانا[1].

و عدم تجانس الظواهر القانونية هي أيضا مشكلة تواجه البحوث العلمية في هذا النوع من التخصصات، ما يجعل الدارس يؤمن بنسبية هذه البحوث العلمية و ليس بإطلاقها و ثباتها.

ثم إن أزمة المصطلح تعتبر أيضا من معوقات البحث العلمي الإبستمولوجية، لأن بعض العلماء يستعينون في شرح أفكارهم و تصوراتهم بألفاظ و مصطلحات تثير الجدل و الاستفهام لدى غيرهم، و من هنا يكثر الجدل و اللغط عند الكثيرين و بالخصوص عند غير المدققين، و هذا ما يجعل من عملية تحديد هذه المفاهيم أو المصطلحات ضرورة معرفية لا تحتمل التأخير، و لعل أشهر من أكد على هذه المسألة الفيلسوف السياسي و العالم التجريبي الإنجليزي فرنسيس بيكون (1561 – 1626) الذي شدد على ضرورة أن يقوم العالم بضبط المفاهيم التي يستخدمها و يدقق فيها من جانب، و جانب كبير آخر يؤكد على أن الكثير من الأخطاء العلمية الخطيرة كانت نتيجة منطقية لعدم التخلص و القضاء على المعاني العامة، حيث ينبه بقوة إلى ضرورة أن يقوم الباحث باستخدام مصطلحات علمية دقيقة و مضبوطة، محددة و مفهومة[2].

---

[1] Luc albarello : Apprendre a chercher , l acteur social et la recherche scientifique, boeck, 2003, p 122, www.fondamental.deboeck.com .

[2] أحمد بخوش، و موسى معيرش : المعرفة و البحث العلمي مدخل إلى المنهجية العامة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2009، ص 48.